تاريخ شعراء العربية

المتنبي

العصر العباسي الثاني



إعداد
الدكتور محمد حسني مصطفى

مراجعة
أحمد عبد الله فرهود



منشورات

دار القلم العربي بحلب

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

عنوان الدار

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي

شارع هدى الشعراوي

هاتف : ٢٢١٣١٢٩ ص . ب : / ٧٨ / فاكس : ٢٢١٣٣٦١ ٢١ - ٠٠٩٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

بين المتنبي وأبي تمّام

من يقف عند الخصائص الفنّيّة لأبي تمّام ويتبيَّنْ معالمَ المدرسة الأدبية التي يَصْدر عنها ، ثمّ ينتقل إلى دراسة المتنبي ، فإنه لن يجد مزيدَ عناء في استكشاف سماته الفنيّة ، لأن أبا الطيّب هو ثاني اثنين رفعا من شأن تلك المدرسة نفسها ، وكان المتنبي شديد الإعجاب بأبي تمّام ، وانحاز له في المعركة التي ثارتْ بين النّقّاد في التفضيل بين الطّائيّين ، وكان يقول : أنا وأبو تمّام حكيمان ، والشاعر البحتري . وهي عبارة ردّدها فيما بعد أبو العلاء المعرّيّ .

وإضافةً إلى تشابه ذَيْنِك الشاعرَينْ في الملامح الفنيّة ، ترى ثلثي ديوان كلّ منهما في المدح ، وكُلّ قد حاز شمائل الرجولة ، وضرب في أرجاء الأرض ، وشارك في أحداث بيئته ، وبزَّ شعراء عصره ، وعَشِقَ المَجْد .

ولادته ونشأته

ولد المتنبي (أحمد بن الحسين) في الكوفة سنة (٣٠٣هـ) ، ووُجِّه منذ نعومة أظافره إلى الثقافة ، فنهل من منابعها غُرَفاً متنوعة المَذاق . ولمّا يَفَعَ خاضَ في فتنة قيل إنها فتنةٌ سياسيّة ، وقيل هي بِدْعة عقَديّة ، وأيّاً ما كانت فقد انتهت بحَبْسه في حمص ، لمدّة سنتين ، ثمّ أُفرج عنه .

إعجابه بنفسه

صار المتنبي يحسّ منذ وقت مبكّر من حياته بغير قليل من الإعجاب بنفسه ، وهو إعجاب جعله يتخيّل أنه ليس له شبيهٌ ، لا في فروسيّة ولا فضل ، فهو الذي يَشْرُف به قومه ، وإنْ كانوا أولي سَبْقٍ ، وهو في نظره الإنسان الأكمل :

ما مقامي بأرض نَخْلَةَ إلّا ... كمقام المسيح بين اليهودِ[1]
مَفْرَشي صَهْوةُ الحصانِ ولكنْ ... قميصي مسرودةٌ من حديدِ[2]
لَأْمةٌ فاضةٌ أضاةٌ دِلاصٌ ... أَحكمتْ نَسْجَها يدا داوُدِ[3]
عِشْ عزيزاً أو مُتْ وأنتَ كريمٌ ... بين طعن القَنا وخَفْق البنودِ[4]
لا بقومي شرُفْتُ بل شرُفوا بي ... وبنفسي فخرْتُ لا بجدودي
وبهم فَخْرُ كلِّ مَنْ نطقَ الضّاد ... وعَوْذُ الجاني وغوثُ الطّريدِ[5]
إنْ أكنْ مُعْجباً فعجبُ عجيبٍ ... لم يجدْ فوقَ نفسِه من مَزيْدِ
أنا تِرْبُ النّدَى وربُّ القوافي ... وسمامُ العِدى وغيظُ الحسُودِ[6]
أنا في أمّةٍ تداركَها اللهُ ... غريبٌ كصالح في ثَمُودِ[7]

---

(١) نخلة : اسم موضع .

(٢) مسرودة : درع منسوجة .

(٣) لأمة : درع .فاضة : فضفاضة . أضاة : غدير ، شبهها به لبريقها . دلاص : برّاقة لّينة ملْساء . داود : نبيّ الله داود عليه السّلام أوّل مَنْ صنع الدّروع .

(٤) القنا : الرماح . البنود : الرايات .

(٥) عوْذ : التجاء .

(٦) ترب المرء : مَنْ ولد في وقت قريب من وقت ميلاده .

(٧) كان في عصر المتنبي آلاف العلماء في كل مجال ، وشعراء كثيرون ، لكنّه لم يعترفْ لغيره بأيّ فضل ، و لم يجدْ لنفسه أيّ ندّ ، وأحسّ بالغربة ، ونسي جهاد النفس .

ولقد زاد إعجابه بنفسه مع الأيّام ، حتى بلَـغ حـدَّ الوَهْـم والنّرْجسيّة ، و لم يعدْ يقف لنفسه عند حجم ، فإذا هو يهجو كلّ النّاس :

أَقَلُّ فَعالي بَلْـهَ أكثَره مَجْـدُ ... وذا الجِدُّ فيه نِلْتُ أم لم أنَلْ جَدُّ[1]

أذمُّ إلى هذا الزمانِ أُهَيْلَـه ... فأعلمُهمْ فَـدْمٌ وأحزمُهمْ وَغْـدُ[2]

وأكرمُهم كلبٌ وأبصرُهم عمٍ ... وأسهدُهم فَهْدٌ وأشجعُهم قِـرْدُ[3]

ويقول :

أيَّ محـلّ أرتقـي ... أيَّ عظيـمٍ أتَّقـي

وكلُّ ما قد خَلَـقَ الله ... ومـا لـم يخلُـقِ

محتقـرٌ فـي همّتـي ... كشعرةٍ في مَفْرِقـي

ويقول :

إنّي وإنْ لُمْتُ حاسِديّ فمـا ... أُنكر أنـي عقوبـةٌ لهـمُ

وكيفَ لا يُحْسَدُ امـرؤٌ عَلَـمٌ ... له على كلّ هامَةٍ قَدَمُ[4]

---

(١) الفَعال : الفعل الحسن . بله : اسم فعل أمر بمعنى دع . الجِدّ : الاجتهاد . الجَدّ : الحظ .

(٢)فدم : عيّي غبيّ . وغد : أحمق خسيس .

(٣)الفَهْد : من أكثر الحيوانات نوماً .

(٤)العلم : الجبل . الهامة : الرأس .

مع سيف الدولة

كان المجد عند المتنبّي مَنُوطاً بسَعة ما في اليد ، وذيوع الاسم ، والسعي إلى كرسيّ الحكم ، فتوجه من أجل ذلك إلى الأمراء يمدحهم ، فكان ممّن مدحهم بدر بن عمّار ، وأبو العشائر ، وكان أبو العشائر الحمدانيّ على أنطاكية ، فوصله بأميره سيف الدولة في حلب .

وكان في حلب جمهرة من الأفذاذ ، كابن جنّي ، وأبي علي الفارسي ، وابن خالويه ، وأبي فراس .. فتعرّف عليهم ، وذاعتْ مدائحه في سيف الدولة ، ولكنّ إيغاله في الإعجاب بنفسه حوّل قلب الأمير - بعدَ مُدَّة - عنه ، فلم يَعُدْ يوليه رعايته الأولى ، وصوّر المتنبّي ذلك التّجافي عنه بقصيدته :

أرى ذلك القُربَ صار ازورارا	**وصار طويلُ السّلام اختصارا[1]**
تركْتَنِيَ اليومَ في خجْلةٍ	**أموتُ مراراً وأحيا مرارا**
ولي فيكَ ما لم يقلْ قائلٌ	**وما لم يَسِرْ قمرٌ حيثُ سارا**
فلو خُلِقَ الناسُ من دهرهمْ	**لكانوا الظّلام وكنتَ النهارا**

واستمر سيفُ الدولة في انصرافه عنه ، واستمرّ هو يعاني آلام الهَجْر ، وبلغ به الأمر أن أفصح عن معاناته بهذه القصيدة العتابية :

واحرَّ قلباه ممَّنْ قلبُه شَبِمُ	**ومن بجسمي وحالي عندَه سَقَمُ[2]**
مالي أكتِّمُ حبّاً قد بَرَى جسَدي	**وتدَّعي حبَّ سيف الدولة الأممُ[3]**

(١) ازورارا : عدول وانحراف .

(٢)شبم : برودة . شبم : بارد .

(٣)برى : أنحل وأضنى .

إنْ كـان يجمعُنـا حـبّ لِغرّتِـه | فليـتَ أنّـا بقَـدْرِ الحـبِّ نَقتَسِـمُ[١]
قد زُرتُه وسيوفُ الهند مغمدةٌ | وقـد نظـرتُ إليـه والسـيوفُ دمُ
فكان أحسنَ خلْـق اللـهِ كلِّهـمِ | وكان أحسنَ ما في الأحسن الشِّيَمُ[٢]
يا أعدلَ الناسِ إلّا فـي معاملتي | فيكَ الخصامُ وأنتَ الخصمُ والحكَمُ
أُعيذُهـا نظـراتٍ منـكَ صادقـةً | أن تحسبَ الشَّحْمَ فيمنْ شَحْمُه وَرَمُ
وما انتفـاع أخي الدُّنْيا بنـاظرِه | إذا استوتْ عنـدَه الأنـوارُ والظُّلَـم
أنا الذي نظَر الأعمى إلـى أدبـي | وأسـمعتْ كلمـاتي مَـنْ بـه صَمَـمُ
أنام مِلْءَ جفوني عن شواردها | ويَسْهَر الخَلْقُ جرّاهـا ويختصِـمُ[٣]
وجاهلٍ مـدَّه فـي جهلـهِ ضحِكي | حتـى أتتْـه يـدٌ فرّاسـةٌ وفَـمُ[٤]
إذا نظرْتَ نيوبَ الليـثَ بـارزةً | فـلا تظنَّـنّ أن الليـث مبتسـم
فالخيلُ والليل والبيـداء تعرفنـي | والسيفُ والرمحُ والقرطاس والقلم

***

يـا مَنْ يعزّ علينـا أن نفـارقهمْ | وِجْدانُنـا كـلَّ شـيءٍ بعدكـمْ عَـدَمُ[٥]
إنْ كـان سركم مـا قـال حاسدنا | فمـا لجـرحٍ إذا أرْضـاكمُ أَلَـمُ[٦]
وبيننـا لـو رعيتـم ذاكَ معرفـةٌ | إنّ المعارف في أهل النهى ذِمَمُ[٧]
كـم تطلبونَ لنـا عيبـاً فيعجزكـم | ويكـرهُ اللـهُ مـا تـأتون والكـرَمُ

---

(١) غِرّة : طلعة . (٢) الشِّيَم : السجايا الرفيعة .

(٣) الشوارد : الأشعار السائرة . جرّاها : من أجلها . يقول الشعر الجيد وينام قرير العين ، ويُشْغل غيرهُ به ، ويختلفون في مراده ، وفي مدى إصابته .

(٤) فرَّاسة : فتّاكة . (٥) وجداننا : وجودنا .

(٦) كان الحسّاد يسْعَون بأبي الطيِّب لدى الأمير ، ويَشُون به ، حتى أوغروا عليه قلبه ، وضربه بمفتاح كبير فشجّه . وهو يشير إلى ذلك .

(٧) النهى : جمع نُهْية وهي العقل .

ماأبعدَ العيبَ والنقصان عن شرفي أنـا الثُّريّـا وذانِ الشَّيْبُ والهَرِمُ[1]

لئنْ تركْـنَ ضُمَـيْراً عـن ميامنِنـا لَيَحْدُثُـنَّ لِمَـنْ ودَّعتُهـم نَـدمُ[2]

إذا ترحّلْتَ عن قـومٍ وقـد قـدروا أنْ لا تفـارقهمْ فـالراحلونَ هُـمُ

شـرّ البـلاد مكـانٌ لا صديـقَ بـه وشَرُّ ما يكْسِبُ الإنسانُ ما يَصِمُ[3]

مغادرته حلب

غادر المتنبّي حلب سنة ٣٤٦هـ ، وتوجّه إلى كافور في مصر ، وقلبه يكاد يتفطّر ألماً من الوشاة الذين حوّلوا قلب سيف الدولة عنه ، ولم يخفّف عنه بعض همومه إلا تعزّيه بحزن أصدقائه عليه لمّا تركهم :

فـراقٌ ومَنْ فـارقتُ غير مذمَّمِ وأَمٌّ ومَـنْ يمَّمْـتُ خـير مُيَمَّـمِ[4]

وما منزلُ اللّذّاتِ عندي بمـنزلٍ إذا لـم أبَجَّـلْ عنـدَه وأُكـرَّمِ

رحلْتُ فكـم بـاكٍ بأجفـانِ شـادنٍ عليَّ ، وكم باكٍ بأجفـانِ ضيغمِ[5]

ومـا ربَـةُ القُرْط المليحِ مكانَـه بأجزع مـن ربّ الحُسَام المصمِّمِ

فلو كان مابي من حبيبٍ مقنَّـعٍ عذَرتُ،ولكنْ مـن حبيب معمَّـمِ[6]

---

(١) الثريا : مجموعة من النجوم في السَّماء . ذان : اسم إشارة إلى العيب والنقصان .

(٢) ضمير : جبل قرب دمشق . تركْنَ : الضمير يعود إلى الإبل .

(٣) يَصِمُ : يعيب ، يؤذي السُّمْعة .

(٤) فارق سيفَ الدولة محمودةً ذكراه عنده ، وقصد كافوراً ونعم المقصود . أمّ :قصـد ، توجّه إلى .

(٥) باكٍ بأجفان شادن : كناية عن النساء اللائي بكَيْنَ لسفره . بـاك بأجفـان ضيغـم : الرجال .

(٦) حبيب مقنّع : النّساء . حبيب معمَّم : سيف الدولة .

في مصـــــر

رحل المتنبي إلى كافور الإخشيدي في مصر ، فأكرمه كـافور ، وأحسن مثواه ، وأخلى له داراً ، وخلـع عليه ، وحمـل إليـه آلافـاً مـن الدراهـم ، فقـال يمدحه ، وكان ذلك سنة ٣٤٦هـ :

كفى بكَ داءً أنْ ترى الموتَ شـافيا ... وحَسْـبُ المنايـا أن يكُـنَّ أمانيـا[١]

تَمنَّيْتَهـا لمّـا تمنَّيْـتَ أنْ تـرى ... صديقـاً فأعيـا أو عـدواً مُدَاجيـا[٢]

إذا كنْـتَ ترضـى أن تعيـش بذِلَّـةٍ ... فـلا تسـتعدنَّ الحُسَـامَ اليمانيـا[٣]

حبَبْتُكَ قلبي قبلَ حُبِّـك مـن نـأى ... وقـد كـان غَدَّاراً فكنْ أنتَ وافيـا[٤]

أقِـلَّ اشـتياقاً أيّهـا القلـبُ ربَّمـا ... رأيتُك تُصفي الوُدَّ مَنْ ليس جازياً[٥]

خلقْتُ أَلوفاً لـو رَحلْتُ إلـى الصِّبا ... لفارقت شيبي مُوْجَع القلب باكيا[٦]

---

(١) كفى بك : كفاك . أي كفاك من الأذى أنّك صرت تتمنّى الموت .

(٢) تمنيتها : تمنّيْتَ المنايا . المداجي : المـداري ، السـاتر للعـداوة . يفسـر معنـى الـداء في البيت الأوّل ، فلقد تمنّى الموت لمّا حاول الظفر بصديق مصـاف أو عـدو مـداجٍ فلـم يظفرْ بأيّ منهما .

(٣) لا تستَعدَنّ : لا تتّخذ لك عدّة . إنّما يتّخذ السيف لرفع الـذّلّ ، فـإذا رَضِـيَ بـالذل فماذا يصنع بالسيف اليماني ولماذا يعدّه ؟

(٤) حَبَبْتُك : أحببتك . أحببتك يا قلبي قبل أن تحبّ أنت سيف الدولة ، فإنّك إنْ أحببتـه لم تكن وفيّاً لي : يعاتب قلبه على حنينه إلى مَنْ فارقه .

(٥) يأمر قلبه بألّا يشتاق إلى سيف الدولة الذي لم يجزه على إخلاصه إخلاصاً مثله .

(٦) موجعَ : حال من التّاء في فارقْتُ .

ولكـــنَ بالفُسْــطاط بحـــراً أزرتُـــهُ حياتي ونصحي والهوى والقوافيا
وجُـرْداً مدادنـا بيـن آذانهـا القَنــا فَبِتْــنَ خفافــاً يتّبعْــنَ العوَاليــا[1]
قواصـــدَ كـــافورٍ تَـــوارِكَ غـــيره ومن قَصَدَ البَحْرَ استقلّ السَّواقيا[2]
أبا المسك ذا الوجْهُ الذي كنتُ تائقـاً إليه وذا الوقتُ الذي كنتُ راجيا[3]
أبـا كلّ طِيبٍ لا أبـا المِسْـكِ وحـدَه وكـلّ ســحابٍ لا أخـصُ الغواديـا[4]
يُـدِلّ بمعنــىً واحــدٍ كــلُّ فــاخرٍ وقـد جمـع الرَّحْمنُ فيكَ المعانيـا[5]
إذا كسَـبَ النّــاس المعــاليَ بـالنّدىَ فـإنّك تُعْطـي فـــي نــداك المعَاليــا
وغـــيرُ كثـــيرٍ أنْ يـــزوركَ راجِـــلٌ فـــيرجعَ ملْكــاً للعراقَيْــن واليــا

ومن الواضح أن المتنبي لم يكن صادقاً في مدح كافور ، وإنّما كان طامعاً أن يولّيه بعض البُلْدان ، وأن يتشفّى في الوقت نفسه من خلال مدح كافور من سيف الدَّوْلة ، ولقد كان كافور من الوعي على نحو لم تخف عليه أخطار تولية المتنبي فمثله لا يُؤْمَنُ أن يغير على أملاك سيف الدولة ، بل على أملاك كافور نفسه ، فلمّا أنْ أبى كافور إيصالَه إلى مبتغاه هجاه .

(١) جُرْداً : خيلاً . القنا : الرماح . العوالي : صدر الرماح .

(٢) قواصد وتوارك : جمع قاصدة وتاركة .

(٣) أبو المسك : كنية كافور

(٤) الغوادي : جمع غادية وهي السحابة التي تنتشر صباحاً .

(٥) يدلّ : يزهو .

مدحةٌ في سيف الدولة

وقفتَ وما في الموتِ شكٌ لواقفٍ كأنّك في جَفْن الرَّدى وهو نائمُ
تمرُّ بكَ الأبطالُ كلمَى هزيمةً ووجْهُك وضّاحٌ وثغرك باسم
ضَمَمْتَ جناحيَهم على القلبِ ضمّةً تموتُ الخوافي تحتها والقوادمُ[1]
ولستَ مليكاً هازماً لنظيرهِ ولكنّك التوحيدُ للشّرك هازِمُ
تشرّف عدنانٌ به لا ربيعةٌ وتفتخر الدنيا به لا العواصِمُ[2]
لك الحمدُ في الدّرّ الذي لي لفظُه فإنّك معطِيه وإنّي ناظِمُ

وهذه الأبيات من قصيدته :

على قَدْر أهل العَزْم تأتي العزائمُ وتأتي على قَدْر الكرام المكارِمُ

ومَن يطالع هذه القصيدة التي كاد فيها يؤلّه سيف الدولة من فَرْط ما بالغ ، وسائرَ سيفيّاته ، يتّضح له بجلاء أنّه لم يُخْلِصْ لكافور ، ولا لأي ممدوح من قبل ولا من بعد كإخلاصه لسيف الدولة . بل إن مدحه لكافور فوق ما فيه من مبالغة يشتمل على تكلّف وغِشّ وسوء طَوِيَّة ، يقول في مدحه أخرى لكافور :

إنّما التهنئات للأكفاءِ ولمنْ يدّني من البُعَداءِ[3]
وأنا منكَ لا يهنِّئ عضوٌ بالمسرّات سائرَ الأعضاءِ[4]

(١) جناحا الجيش : ميمنته وميسرته . القوادم : عشر ريشات في مقدّم جناح الطائر . الخوافي : ما تحتها . أي أنه أهلكهم جميعاً .

(٢)ربيعة : قبيلة سيف الدولة . العواصم : أنطاكية وما حولها .

(٣)يدّني : يقترب . يهنئه عندما ابتنى داراً .

(٤)المتنبي - بزعمه - وكافور كالشخص الواحد .

أنــتَ أعلــى محلّــةً أن تُهنّــا بمكان في الأرض أو في السَّماءِ
تَفْضَحُ الشمسَ كلّما ذرَّت الشمسُ بشــمس منــيرةٍ ســوداءِ
إنّ فـي ثوبـك الـذي المجـدُ فيـه لضيـاءً يُـزْري بكـلّ ضيـاءٍ[1]
إنَّما الجلدُ ملبس وابيضاضُ النفـ س خير من ابيضاضِ القَباءِ[2]
كـرمٌ فــي شـجاعةٍ ، وذكــاءٌ في بهـاءٍ ، وقـدرةٌ فـي وفــاءِ
مَنْ لبيض الملوكِ أن تُبْدِلَ اللّـوْ ن بلـونِ الأسـتاذِ والسَّـحْناءِ[3]
ولقـد أفْنَـتِ المفـاوزُ خيلـي قبل أن نلتقي وزادي ومـائي[4]
فـارْمِ بـي مـا أردتَ منّـي فـإنّي أسَـدُ القَلْـبِ آدمـيُّ الـرُّواءِ[5]
وفـؤادي مـن الملـوك وإنْ كـا نَ لسـاني يُـرَى مـن الشّـعراءِ

هجــاؤه لكافــور

لمّا يئس المتنبي من توليه كافور له انقلب يهجوه ، ويرميه بالخِسّة والغَـدْر والكذب ، ويعيّره بلونه تعبيراً ينمّ على تكبّر واستعلاء لدى المتنبي ، وضعْـفٍ في النزعة الإنسانية الراشدة التي مهما أسرفتْ في ابتداع قِيم المذمّة فإنها تُبْقي اللون في منجاة عن أنْ يكون معياراً يُقَدَّرُ بمكياله وَضْع الناس . ومن أشهر ما هجا بـه كافوراً هذه القصيدة التي قالها عند خروجه من مصر سنة ٣٥٠هـ :

(١) يُزري : يستهين .

(٢) القباء : القميص ، الثوب .

(٣) السَّحْناء : الهيئة .

(٤) المفاوز : جمع مفازة ، وهي الغلاة .

(٥) الرُّواء : المنظر .

عيـدٌ بأيَّــةِ حــالٍ عُــدْتَ يــاعيدُ ... بمـا مضـى أم لأمـرٍ فيكَ تجديـدُ[1]
أمّــا الأحبَّــةُ فــالبيداءُ دونَهــمُ ... فلَيـتَ دونَــك بيـداً دونهـا بِيـدُ
لولا العُلا لم تَجُبْ بي ماأجوبُ بهـا ... وجناءُ حَرْفٌ ولا جَرْداءُ قَيدودُ[2]
مـاذا لقيـتُ مـن الدنيـا وأعجَبُـهُ ... أنّي بمـا أنـا شـاكٍ منـه محسـودُ
أمسَيتُ أرْوَحَ مُـثْرٍ خازنـاً ويـداً ... أنـا الغَنـيّ وأموالـي المواعيـدُ[3]
إنّــي نزلْــتُ بكذّابيــن ، ضيفُهــمُ ... عن القِرى وعن التَّرحالِ محدودُ[4]
جُودُ الرِّجـالِ من الأيدي وجودُهـمُ ... مـن اللّسـان فـلا كـانوا ولا الجُـودُ
ما يقبضُ الموتُ نَفْساً من نفوسِهِمُ ... إلّـا وفـي يـده مـن نَتْنِهـا عـودُ
أكلّمـا اغتـالَ عبـدُ السُّـوءِ سيّدَه ... أو خانَـه فلَـهُ فـي مصـرَ تمهيـدُ
صـار الخَصِيُّ إمـامَ الآبقِيـن بهـا ... فـالحرّ مسـتعبدٌ والعبـد معبـودُ[5]
نـامتْ نواطيرُ مصرٍ عن ثعالبِهـا ... فقد بَشِمْنَ ومـا تفنـى العنـاقِيدُ[6]
العبـد ليـس لحـرٍّ صـالحٍ بـأخٍ ... لـو أنّـه فـي ثيـاب الحُـرّ مولـود
لا تشترِ العبـدَ إلّـا والعَصـا معـه ... إنّ العبيـدَ لأنجـاسٌ منـاكيدُ[7]

---

(١) أعادَ العيد وقد تحسنتْ حاله أمْ عاد وهو على حاله من البؤس عندما لم يظفرْ بآماله في مصرٍ ؟

(٢) تجوب : تقطع . وجناء : ناقة عظيمة صُلْبة . حرف : ضامرة .جرداء : فرس قصيرة الشعر . قيدود : طويلة الظّهر .

(٣) أرْوَحُ : من الراحة . أصبح غنياً ولكنّ خازنه ويده في راحـة مـن أعبـاء الـثراء ، لأن ثروته قائمة على مواعيد كافور الوهميّة .

(٤) محدود : ممنوع .

(٥) أبق العبد : هرب من سيّده .

(٦) نواطير : حرّاس . يحرّض أهل مصر على الثورة .

(٧) منكود : تعيس مشؤوم .

ما كنتُ أحسبُني أحيا إلى زمَنٍ يُسيءُ بي فيه عبدٌ وهو محمودُ
ولا توهَمتُ أن الناس قد فقدوا وأنّ مثل أبي البيضاء موجود[1]
وأنّ ذا الأسودَ المثقوبَ مشفَرُهُ تطيعُه ذي العضاريطُ الرّعاديدُ[2]
جَوْعانُ يأكلُ من زادي ويمسكني لكي يُقالَ عظيمُ القَدرِ مَقْصُود
ويلُمّها خطةً ويلُمّ قابلِها لمثلها خُلِقَ المَهْرِيّةُ القودُ[3]
وعندَها لذّ طَعْمَ الموتِ شاربُه إنّ المنيّة عند الذّلّ قِنْديد[4]
مَنْ علّم الأسود المخصيَّ مكرُمةً أقومُه البِيضُ أم آباؤه الصّيد[5]
أم أذنه في يد النّخّاس داميةً أم قَدرُه وهو بالفلسَيْن مردود
أولى اللئام كويفيرٌ بمعذرةٍ في كلّ لؤمٍ وبعضُ العذرِ تَفْنيدُ[6]

---

(١) كنّاه أبا البيضاء استهزاء .

(٢) العضاريط :جمع عضروط ، وهو الذي يخدم الناس بطعام بطنه . الرعديد : الجبان .

(٣) ويلمّها : كلمة تقال عند التعجّب ، أصلها : ويْ لأمّها . خطّة : تمييز . المَهْرِيّة : الإبل . القود : الطويلة . ما أعجب هذه الحال . وما أعجب من يقبلها ، وإنّما خُلقت الإبل للفرار من مثلها .

(٤) القنديد : عصارة قصب السّكر إذا جمد ، والخمر .

(٥) الصّيد : الملوك .

(٦) تفنيد : لوم ، وتضعيف للرأي .

كل ذلك لأن كافوراً الحكيم لم يُجب المتنبي حين سأله ولاية في صيدا أو في صعيد بمصر ، مع إلحاح المتنبي في السؤال ، ورأينا إلحاحه بذلك فيما سبق ، وهو بادٍ في مثل قوله أيضاً :

أمولايَ هل في الكأس فضلٌ أنالُه   **فإنّي أغنّي منذ حين وتَشْرَبُ**

وقوله :

قالوا هجرتَ إليه الغيثَ قلتُ لهم   **إلى غيوث يديه والشآبيبِ[1]**
إلى الذي تهبُ الدَّوْلاتِ راحتُه   **ولا يمنّ على آثار موهوبِ**

وما من شكّ في أنّ المتنبي قسا على كافور ، وألبسه من الصفات الجسمية والنفسية ما ليس فيه .

---

(١) الشآبيب : خيوط المطر .

نهاية المتنبّي

غادر المتنبي مصر سنة ٣٥٠هـ ، فقصد العراق وخراسـان ، ومـدح ابـن العميد وعضد الدولة البويهي ، ونال عطايا كثيرة وخلال أَوْبته إلى بغداد خـرج عليه فاتك الأسدي ، وكان المتنبي قد هجا ابن أختـه ضبّـة بـن يزيـد ، وأمّـه - اخت فاتك - فقتله ، وذهب دمه هَدْراً ، وكـان مقتلـه يـوم الأربعـاء في الثـامن والعشرين من رمضان سنة ٣٥٤هـ